المحاضرة الخامسة: توجيهُ شيءٍ من العشر المتواترة

– من سورة البقرة –

سبق وأنْ وجَّهنا – في المحاضرة السَّابقة –، ما في سورة الحمد من القراءات المتواترة، وخمسَ مواضعَ من سورة البقرة، ونستتمُّ في هذه المحاضرة – بحول الله وقوَّته –، توجيه ما تيسَّرَ منها، فنقول مُستعينين بالله ﷻ:

الموضع السَّادس: قوله ﷻ: ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[البقرة:81].

1- محلُّ الخلاف كلمة (خطيئته).

2- فقد قرأها المدنيَّان؛ نافعٌ وأبو جعفر (خَطِيئَاتُه) بالجمع.

– وقرأها بالإفرادِ (خَطِيئَتُه) بقيَّة العشرة[1].

3- وحجَّة مَنْ قرأ بالجمع؛ أنَّ الإحاطة لا تُتصوَّرُ إلاَّ من جمعٍ يُحيطُ بالإنسان؛ كَقَوْلِك: أحَاط بِهِ الرِّجَال، وأحاط النَّاس بفلان؛ إذا داروا بِهِ، وَلَا يُقَال: أحَاط زيد بِعَمْرٍو.

كما قيل إن المراد بالخطيئات هنا: كبائر الذنوب التي تحيط بالإنسان فتهلكه.

– وحجَّة مَن أفردَ؛ أنَّه قيل في تفسير الخطيئة أنها الشرك؛ فالأنسب في التعبير عنه لفظ المفرد.

كما يُمكن القولُ أنها جاءت كذلك، موافقةً لما قبلها؛ أي لفظ (الخطيئة) للفظ (السيئة) قبلها، لأن الخطيئة سيئة، والسيئة خطيئة. والسيئة والخطيئة وإن انفردتا لفظا فمعناهما الجمع لأنهما اسما جنسٍ[2].

الموضع السَّابع: قوله ﷻ: ﴿**ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[البقرة:85].

1- محلُّ الخلاف المواضع الثلاثة (تظاهرون، وأسارى، وتفادوهم).

---

[1] يُنظر: ابن الجزري، تحبير التيسير، ص290.

[2] يُنظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص83. و: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص102.

2- أمَّا (تظاهرون)؛ فقد قرأها (تَظَاهَرُونَ) بتخفيف الظاء الكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي. وقرأها بقية العشرة (تَظَّاهَرُونَ) بتشديد الظاء.

- وأمَّا كلمة (أسارى)؛ فقد قرأها حَمْزَة (أَسْرَى) بِغَيْر ألف على وزن فَعْلَى.

وَقرأها الْبَاقُونَ بِالْألف (أُسَارَى) على وزن فُعَالى.

- وأمَّا كلمة (تفادوهم)؛ فقد قرأها نَافِع وَعَاصِم وَالْكسَائِيّ وَأَبُو جَعْفَر وَيَعْقُوب (تُفَادُوهُم) بِالْألف وَضم التَّاء.

وقرأها بقية العشرة (تَفْدُوهُمْ) بغير ألف وفتح التاء[1].

3- أمَّا (تظاهرون)؛ فإنَّ أصل الفعل (تَتَظَاهَرُونَ) بتاءين، فلما استثقلوا التكرير في الفعل؛ فمنهم من شدَّد، بأن قلب التاء ظاء وأدغمها في التي تليها (تَظَّاهَرُون)؛ وقلب الحرف إلى ما هو أقوى منه من سنن العرب في كلامها. ومنهم من حذف إحدى التاءين تخففا فصار الفعل (تَظَاهَرون)[2]. قال الأزهريُّ رحمه الله (ت:370هـ): «من قرأ (تَظَّاهَرُونَ) بالتشديد؛ فالأصل فيه (تَتَظاهَرُونَ)، فأدغمت التاء في الظاء لِقُرْب المخرجَين، وشددت الظاء.

وَمَنْ قَرَأَ بالتخفيف فالأصل فيه (تَتَظاهَرُونَ) بتاءين أيضًا، فحذفت التاء الثانية لاجتماعهما.

وتفسير (تَظاهَرُونَ): تَتَعاونون، يقال: ظاهَرَ فلانَ فلانا: إذا عاونه. وقال الله تعالى: (وإِن تَظاهَرا عَليهِ) معناه: وإن تعاونا. والظهِير: المعِين، وقال الله تعالى: (وكَانَ الكَافِرُ عَلى ربهِ ظهِير)، أي: مُعِينا»[3].

- وأمَّا كلمة (أسارى) فإنها قرئت (أَسْرَى) جمع أسير، «والأسيرُ مشتق من الإِسار؛ وهو القَيْدُ الذي يُرْبط به المِحْمَلُ، فسُمِّي الأسير أسيراً لشدة وَثاقه، ثم اتُّسِعَ فيه؛ فَسُمِّي كلُّ مأخوذٍ بالقَهْرِ أَسيراً، وإن لم يُرْبَط»[4]. ومن حجة من قرأ (أَسْرى) أن جمع فعيل الذي بمعنى مفعول على وزن (فَعْلَى). قال أبو علي الفارسيُّ رحمه الله (ت:377هـ): «أسير، فعيل، بمعنى مفعول. ألا ترى أنّك تقول: أسرته، كما تقول: قتلته، وفعيل إذا كان بمعنى مفعول، لم يجمع بالواو والنون، كما لم يجمع

---

[1] يُنظر: ابن الجزري، التحبير، 290-291.

[2] يُنظر: مكي، الكشف، ج1، ص250-251. و: قمحاوي، طلائع البشر، ص27.

[3] الأزهري، معاني القراءات، ص162.

[4] السمين الحلبي، الدر المصون، ج1، ص482.

فعول بهما، ولكن يكسّر على (فَعْلَى)، نحو: لديغ ولدغى. وقتيل وقتلى، وجريح وجرحى، وعقير وعقرى»[1].

كما قُرِأت (أُسارى)؛ على أنه جَمْعُ أَسْرى الذي هو جمعُ أسير؛ فيكونُ جَمْعَ الجمعِ[2].

– وأمَّا توجيه (تفدوهم وتُفَادوهم) فقد ذكرناه من قبلُ.

الموضع الثَّامن: قوله ﷻ: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة:106].

1- محلُّ الخلاف في الآية الكريمة كلمتا (ننسخ وننسها).

2- أمَّا (ننسخ) فقد قرأها ابن عامر وحده (نُنْسِخْ) بضمِّ النون وكسر السين من (أنسَخَ).

وقرأها بقيَّة العشرة (نَنْسخْ) بفتح النون والسين، من (نَسَخَ).

– وأمَّا (ننسها) فقد قرأها ابن كثير وأبو عمرو (نَنْسَأْها) بفتح النون والسين وهمزة من (أنْسَأَ).

وقرأها الباقون (نُنْسِهَا) من (أَنْسَى)[3].

3- وحجَّة من قرأ (نُنسِخْ) من (أنسَخ) الرُّباعيِّ، «بِمَعْنى مَا نُنْسِخْك يَا مُحَمَّد ثمَّ حذف الْمَفْعُول، من النّسخ؛ وَمَعْنَاهُ مَا آمُرك بنسخها، أَي بِتَرْكِهَا، تَقول: نسخت الْكتاب، وأنسخته غَيْرِي؛ أَي حَملته على النَّسخ»[4].

كما يمكن أن يُقال: إنه «من (أنسخت الكتاب) على معنى: وجدته منسوخًا، مثل: أحمدْتُ الرجل، وجدته محمودًا، وأبخلتُ الرجل، وجدته بخيلاً»[5].

وحجَّة من قرأ (نَنْسَخْ) «من (نَسَخَ) إذا غير الحكم وَبدل، يَقُول: نسخ الله الْكتاب ينسخه نسخا وَهُوَ أَن يرفع حكم آيَة بِحكم أخرى. قَالَ ابْن عَبَّاس ﷺ: (مَا ننسخ من آيَة)، أَي مَا نبدل من حكم آيَة بِحكم آخر»[6].

---

[1] الفارسي، الحجة، ج2، ص143.

[2] يُنظر: السمين الحلبي، ج1، ص481.

[3] يُنظر: ابن الجزري، تحبير التيسير، ص293.

[4] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص109.

[5] مكي، الكشف، ج1، ص257.

[6] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص109.

– وأمَّا كلمة (ننسها)؛ فمن قرأ (نَنْسَأها) «بفتح النون وهمزة بعد السين، [فهو] بمعنى نؤخرها، من قولك: "نسأت هذا الأمر أنسؤه نَسْأ ونَسَاء"، إذا أخرته، وهو من قولهم: "بعته بنساء، يعني بتأخير»[1]. ومعنى التأخير هنا إمَّا أن يقع على التنزيل من اللوح المحفوظ، أو على النسخ؛ أي أنها نزلت وعمل بها لكن أُخر نسخها إلى وقته المعلوم[2].

ومن قرأ (نُنْسِهَا)؛ فهو من النسيان؛ إمَّا بمعنى (الترك) ومنه في القرآن الكريم: ﴿**قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**﴾[طه:126]. والمعنى: نتركها فلا نبدلها ولا ننسخها. وإمَّا أن يكون من النسيان على بابه الذي هو عدم الذكر، على معنى (سننسكها يا محمد فلا تذكرها)[3]. قال مكيٌّ رحمه الله (ت:437هـ): «والأقوى البيِّن؛ أن يكون من النسيان الذي هو ضد الذكر، فيكون المعنى: إذا رفعنا آيةً (بنسخ) أو (نسيانٍ) نقدره عليك يا محمد؛ أتينا بخير منها في الصلاح لكم، أو بمثلها في التعبد، ويدل على أنها من النسيان قوله: ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾[الأعلى:6-7]، فقد أعلمه الله أنه لا ينسى شيئا مما نزل عليه، إلا ما شاء الله أن ينساه، مما قدر أن يبدله بأصلح منه للعباد، أو بمثله، ويدل على أنه من النسيان أن الضحاك قرأ: (تُنسَها) بتاءٍ مضمومة وفتح السين»[4].

الموضع التَّاسع: قوله ﷻ: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾[البقرة:119].

1- محلُّ الخلاف كلمة (تسأل).

2- فقد قرأها نافع ويعقوب (تَسْأَلْ) بجزم اللام على النهي.

– وقرأها بقيَّة العشرة (تُسْأَلُ) بالرفع على الخبر[5].

3- أمَّا مَنْ قرأ (ولا تَسْأَلْ) بالجزم على النهي، ففي ذلك معنيان: أحدهما (لا تسأل) على جهة التعظيم لحالهم من العذاب، كما تقول: فلان لا تسأل عنه، تعني أنه في نهايةِ تَشَهُّرِهِ من خير أو شر.

---

[1] ابن جرير، جامع البيان، ج2، ص476-477.

[2] يُنظر: مكي، الكشف، ج2، ص258.

[3] يُنظر: محيسن، المغني في توجيه القراءات العشر، ص173.

[4] مكي، الكشف، ج2، ص259.

[5] يُنظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص221.

والمعنى الثاني روي فيه أن النبي ﷺ قال: «ليت شعري ما فعل أبواي» فنزلت (وَلا تَسْأَلْ)»[1].

على أن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، أو العكس، ومن الخبر إلى الإنشاء أو العكس من أساليب اللغة العربية التي لا تُستنكر، وفي القرآن الكريم منها شيء غير قليل[2].

ومن قرأ (تُسْأَلُ) بالرفع، فعلى الخبر مُوافقة للسياق، ويشهد له من القرآن قوله سبحانه: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ**﴾[البقرة:272]، وقوله: ﴿**مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ**﴾[المائدة:99][3].

الموضع العاشر: قوله ﷻ: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾[البقرة:125].

1- محلُّ الخلاف كلمة (واتخذوا).

2- فقد قرَأَها نافع وابن عامر (وَاتَّخَذُوا) بفتح الخاء على الخبرِ.

– وقرأها الباقون (وَاتَّخِذُوا) بكسر الخاء على الأمر[4].

3- وحجة من قرأها على الخبر حملاً على ما قبلها وما بعدها، حتى يتطابق الكلامُ؛ إذ السياقُ كله في الخبر؛ كأنه قيل: واذكر يا محمد إذ جعلنا البين مثابة للناس وأمنا، وإذ اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وإذ عهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل بتطهير البيت..، فتكون (إذ) الدالة على المضي مضمرة لدلالة (إذ) الأولى عليها.

– وحجة من قرأ بالأمر؛ مَا رُوِيَ فِي التَّفْسِير؛ أَن النَّبِي ﷺ أَخذ بيد عمر، فَلَمَّا أَتَى على الْمقَام قَالَ لَهُ عمر: هَذَا مقَام أَبينَا إِبْرَاهِيم ﷺ؟ قَالَ: نعم، قَالَ: أَفلا نتخذه مصلى؟ فَأنْزل الله ﷻ: (وَاتَّخِذُوا من مقَام إِبْرَاهِيم مصلى) يَقُول: وافعلوا[5].

---

[1] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص203.

[2] يُنظر: الحربي، توجيه مشكل القراءات، ص121.

[3] يُنظر: مكي، الكشف، ج2، ص262.

[4] يُنظر: ابن الجزري، النشر، ج2، ص222.

[5] يُنظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص113. و: مكي، الكشف، ج2، ص263.